الخاتمة

خاتمة
النتائج والتوصيات

إن البحث فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي يجذب الدارسين إلى بذل الجهد فى إنصاف أهل الحق ، ودفع شبه المغرضين الذين حاولوا تشويه الصورة الحقيقية للحياة الروحية فى الإسلام ، وإلصاقها بمصدر أجنبيي ، أو تعكير صفوها بدس أفكار فلسفية غريبة ، أو بث معان وافدة سقيمة تحت ألفاظ القرآن والسنة ، التى تناولها الصوفية فى مقاماتهم وأحوالهم ومدارج السالكين إلى ربهم ، فالمعتدلون من أوائل الصوفية حجة على الآخرين بحسن اعتقادهم والتزامهم بالقواعد الأساسية التى تمثل اتفاقا وثيقا وأصولا راسخة فى اعتقاد المسلمين ، فعظموا كتاب الله وسنة رسوله ، ولم يجوزوا لأحد أن يخالفهما ، تحت أى دعوى أو فكر ، وإن حسنت النوايا .

لقد تناولت هذه الرسالة البحث عن الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى من جانبين أساسيين : أحدهما نظرى ، والآخر تطبيقى معجمى ففى الجانب النظرى ،جاء الحديث عن معرفة الضوابط اللازمة للاستدلال بالقرآن وكيفية فهمه على النحو الذى أراده الله عز وجل ، وتناول أيضا منزلة

القرآن والسنة عند الصوفية ، وأن الأوائل منهم أجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة ، وأنه ليس بمخلوق ولا محدث وأنه متلو بألسنتنا مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى صدورنا غير حال فيها ، كما أن الله تعالى ، معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا ، معبود فى مساجدنا غير حال فيها ، وأنهم أجمعوا أن جميع ما فرض الله تعالى على العباد فى كتابه وأوجبه رسول الله فرض واجب ، وحتم لازم على العقلاء البالغين ، لا يجوز التخلف عنه ، ولا يسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق وولى وعارف ، وإن بلغ أعلى المراتب ، وأعلى الدرجات ، وأشرف المقامات وأرفع المنازل ، وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحة ما حظر الله ، أو تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله ، أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعذر والعلة ما أجمع عليه المسلمون ، وجاءت به أحكام الشريعة ، ومن كان أصفى سرا وأعلى رتبة وأشرف مقاما فإنه أشد اجتهادا ، وأخلص عملا وأكثر توفيقا.

كما تناول البحث النظرى أيضا ، ضوابط تفسير القرآن الكريم ، ومفهوم التأويل فى القرآن والسنة واصطلاح المتأخرين ، وبيان أنواع التأويلات الباطلة التى يحترز منها ، ثم طريقة الصوفية فى تفسيرهم للقرآن ، والأدلة من القرآن والسنة على جواز التفسير الإشارى ، مع آراء العلماء

والمستشرقين فى التفسير الصوفى ، ثم الشروط التى يمكن بها قبول التفسير الصوفى ، وأمثلة على ذلك .

وقد كان من أهم الموضوعات التى تناولها البحث التعرف على ينابيع المصطلح الصوفى ، ودراسة مقتضبة للمعاجم الصوفية ، فقد تم انتقاء المؤلفات الينبوعية للمصطلحات الصوفية بنوعيها ، أعنى المصطلحات الصوفية ذات الأصول القرآنية والنبوية ، وهى مصطلحات مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية ، وموضوعة على معانيها أو معان أخرى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ، أو المصطلحات الصوفية ، ذات الألفاظ القرآنية والنبوية وهى مصطلحات صوفية مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية ، منفصلة الدلالة عن معانيها الواردة فى الكتاب والسنة ، وموضوعة على معان أخرى استحدثها الصوفية ، وتداولوا الألفاظ عليها ، هذه المؤلفات الينبوعية التى شكلت أمهات الكتب الصوفية تم انتقاؤها من التراث الصوفى حتى القرن العاشر الهجرى ، لأن التأليفات التى حُققت بعد هذا التاريخ هى فى مجملها إعادة ، وتبسيط للدلالات القديمة لهذه المصطلحات ، أو شروح لها وملخصات .

وبعد الاطلاع على ما هو مشهور ومؤكد الأهمية فى مضمار التصوف فى تلك الحقبة التى تمثل فترة العزو والصفاء للتآليف فى التصوف الإسلامى

أمكن حصر الاختيار بعد تكلف وعناية فى عشرة مؤلفات أمدتنا بجل ما للصوفية من ألفاظ ومعان خاصة ، هذا علاوة على تتبع أقوال الصوفية وإشارات أعلامهم فى متفرقات ما أثر عنهم فى التراث الصوفى ، والاستعانة أيضا بالمعاجم الصوفية الحديثة ، والمعاجم العلمية العامة التى تتناول ألفاظ الصوفية .

كما تعرفنا على دراسة وجيزة للمعاجم الصوفية ، مثل اصطلاحات الصوفية لابن عربى ، ومعجم الكاشانى ، ومعجم الدكتور الحفنى ، والمعجم الصوفى للدكتورة سعاد حكيم ، ومعجم الدكتور الشرقاوى من حيث ترتيب المداخل وكثافتها ، وكيفية الاستعانة بالأصول القرآنية والنبوية ، ثم تناول البحث فى فصل مستقل على المنهج الذى نميز به بين ما يمكن أن يكون مصطلحا تعارف عليه الصوفية ، أو لفظا صوفيا يشابه سائر الألفاظ ، وقد التزمت فى حصر هذه النوعية من المصطلحات شرطا صارما ، تمثل فى اتفاق جمع من الصوفية لا يقل عن ثلاثة على ذكر مدخل المصطلح ، أو أحد تصاريفه اللغوية وذلك من باب الأخذ بالأحوط ، والتزام الدقة على قدر الإمكان والاطمئنان فى حصر المصطلح الصوفى ، فبلغ عدد المداخل العامة على هذا الشرط مائة وأربعة وعشرين مصطلحا لهم أصول قرآنية ، وبلغ مجموع المداخل الفرعية والعامة فى هذه الفصول ثلاثمائة

وتسعة وثلاثين مصطلحا ، كما تطلب الأمر أيضا استقصاءا شاملا للقرآن والسنة ، وفق منهج محدد فى بحث الأصول القرآنية لكل مصطلح صوفى على حده .

وقد تناول البحث أيضا ،مراحل التصوف ، وأثرها على التغير الدلالى للمصطلح الصوفى ، وعلاقة ذلك بالأصول القرآنية ، فالتصوف عبر مراحله الفكرية المختلفة مر بعدة مراحل متميزة ومتدرجة ومؤثرة فى علاقة الأصول القرآنية ، بما أفرزته كل مرحلة من رموز وألفاظ ، واصطلاحات تتنوع فى معناها الدلالى .

فالتصوف الأوَّلى البسيط الذى نجم عن حركة الزهد ، ومسلك التوكل على الله والذى يعنى نماء الحياة الروحية فى الإسلام ، اتخذ أصحابه من حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما كانوا يأخذون به أنفسهم من زهد فى الدنيا وإعراض عن زخرفها وجاهها ، وإقبال على الله عز وجل بقلوبهم المصدر الأصيل لبدايته ، فكانت طبيعة الألفاظ الدائرة بين الصوفية فى هذه المرحلة أنها ألفاظ واصطلاحات قرآنية أو نبوية متماسكة مع معانيها الدلالية الواردة فى الكتاب والسنة لا تنفك عنها ، ودور الصوفية يكمن فى توضيح المعنى أو استنباط حقيقة روحانية دلت عليها الآيات القرآنية ، أو تقويم ما اعوج من السلوك لأدعياء التصوف حول فهمهم لمعنى قرآنى أو نبوى .

أما التصوف المبنى على إضافات الصوفية الاجتهادية فى رسم خطوات الطريق للمريدين وتدرجهم فى منازل السائرين ، وترتيب المقامات والأحوال عند المتحققين ، فلم تعد قضية الاكتفاء بالممارسة العملية ، كافية لإبراز الوجهة الحقيقية للعلاقة القائمة بين الصوفية وربهم .

ولكن تطور الأمر عندهم إلى ما هو أعلى ن مجرد الزهد فى الدنيا ، وترك المألوفات والمستحسنات ، فأصبح التصوف قريبا من الفكر المنظم إلى حد بعيد ، وإن اتسم بكثير من المخالفات الشرعية ، وأفرز الطريق الذى التزمه أوائل الصوفية وباشروه فى تجاربهم الشخصية ، نتاجا فكريا أطلقوا عليه مقامات السائرين وأحوال المتحققين ، وقد أفرزت هذه المرحلة معان واسعة الدلالة للمصطلح الصوفى ، ومضى بعض الصوفية إلى الاستقصاء والبحث عما ورد فى الأصول القرآنية والنبوية ،من شواهد تؤيد ذلك بحيث بدت غالبية القضايا الفكرية اللاحقة فى التأمل الذوقى النظرى ، نتائج ضرورية من إفراز هذا الميدان ، واتسعت دلالة المصطلح الصوفى وزادت مساحتها لتنتقل من دلالة قرآنية تتناول سائر الناس إلى دلالة تفرق بين العامة والخاصة وخاصة الخاصة وأنواع أخرى متزايدة .

كما أن التصوف مر بمرحلة نجمت عن الغلو فى الحب والفناء ودعوى الاتحاد ، وهى حركة صوفية

اهتزت فيها معايير الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، وفارق فيها اللفظ فى أغلب الأحيان معناه ، حيث غدت الرياضة الصوفية فى المرحلة اللاحقة ترمى إلى الوصول لله والاتحاد به على نحو يعطى الصوفى تميزا أعلى مما كان يرمى إليه كل سالك فى أهدافه المتواضعة ، وغدا الاقتصار على التوقف فى المستوى السابق قصورا سلوكيا ينبغى للصوفى ألا يطيل اللبث فيه طويلا .

وانتقل التصوف نقلة حاسمة ومرحلة جديدة ، تمثلت فى تحول الصوفى من مجرد سالك أو متوكل يجعل كده وجهده فى مزيد من التأسى والمجاهدة فى العمل إلى صوفى ينقل إلينا تجربته الدينية الشخصية ، ويدفعنا إلى الاقتداء بطريقة تفكيره وتدبره إلى جانب اقتدائنا بطريقته السلوكية العملية ، وقد ظهر أيضا تصوف أصحاب وحدة الوجود ، الذى يشارك التصوف الحلولى فى مفارقة الألفاظ الاصطلاحية لمعانيها الدلالية والعبث بطريقة الاستدلال فى الأصول القرآنية والأحاديث النبوية للمصطلح الصوفى ، فبدلا من أن يكون اللفظ موضوعا على المعنى المراد فى الكتاب والسنة ، أصبح اللفظ نفسه موضوعا على نقيضه تماما تحت هذه الفلسفة .

ثم تناول البحث دراسة الأصول القرآنية لمصطلح التصوف ،على وجه خاص وتقرير الأصول التى يرد إليها الصوفية مصطلح التصوف ، ثم مناقشة ذلك

مناقشة علمية ، لتقرير ما إذا كان الصوفية قد اهتموا بالبحث عن الأصول القرآنية والنبويه للتصوف ؟ وهل مصطلح التصوف له أصل فى الكتاب والسنة يعتمد عليه ؟ وكيف ظهرت نسبة التصوف إلى الصوف ؟ ومن أول من صرح بها ؟ وهل رد التصوف إلى الصوف أو الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، يعتبرا أصلا مقبولا ومقنعا له ما يؤيده فى الكتاب والسنة ؟

نتائج البحث وأهم التوصيات :

أولا : نتائج البحث .

من خلال ما ورد فى هذه الرسالة بجانبيها النظرى والمعجمى يمكن أن نصل إلى بعض النتائج الآتية :

[1] - تبين لنا من خلال الدراسة الإحصائية التطبيقية للمصطلحات الصوفية أن الجانب الأصيل من حيث النسبة إلى القرآن والسنة أكبر بكثير من الجوانب الأخرى التى لحقت بالتصوف ولا أصل لها ، فقد بلغ مجموع الاصطلاحات الصوفية ذات الأصول القرآنية والنبوية فى هذه الرسالة مائة وأربعة وعشرين مصطلحا من مصطلح الأبد إلى مصطلح اليقين لها جميعها أصول قرآنية أو نبوية تؤيد المعنى الصوفى فى مرحلته الأولى وجانبا من الثانية ، كما بلغ عدد هذه المصطلحات مع مداخلها الفرعية والعامة ثلاثمائة وتسعة وثلاثين مصطلحا ، فى حين بلغ مجموع الاصطلاحات الصوفية ذات الألفاظ القرآنية والنبوية فى هذه الرسالة من مصطلح الإحرام إلى مصطلح يوم الجمعة تسعة وتسعين مصطلحا لهم أصول قرآنية أو نبوية من جهة اللفظ دون المعنى ، كما بلغ عدد هذه المصطلحات ، مع مداخلها الفرعية والعامة مائة وثلاثة وستين مصطلحا ، وهذا يعنى أن جملة الاصطلاحات الصوفية التى وردت فى هذه الرسالة وعلى منهج الإحصاء المتبع فى المعاجم الأخرى بالإضافة إلى

مصطلح التصوف ذاته أربع مصطلحات وخمسمائة .

[2] - بلغ عدد الشواهد القرآنية فى القسم المعجمى ما يقارب ثلاثة آلاف شاهد قرآنى كما بلغ عدد الشواهد الحديثية أكثر من ألفي حديث نبوى محكوم على درجتهم ، من حيث الصحة أو الضعف على منهج أهل الحديث ، وهذا العدد يعتبر الأكبر عند المقارنة بالمعاجم القديمة والحديثة التى ظهرت حتى الآن .

[3] - من النتائج الهامة أن السراج الطوسى يعتبر أول من نسب التصوف إلى الصوف ، وعلل ذلك بأنه دأب الأنبياء والصديقين وشعار المساكين المتنسكين ، وقد تبين من البحث فى الأصول النبوية أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يرغب فى لبس الصوف ولا يفضله وأنه كان يلبسه عند الضرورة وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم القطن ، ولما أصل السراج الطوسى هذه النسبة وأظهر رأيه فيها بجرأة تتابع المؤلفون من معاصريه ولا حقية يوافقون رأيه أو يخالفون يدققون ويبحثون عن اللوازم المترتبة على رد التصوف إلى الصوف إما بإظهار نسبة أخرى تتآزر مع السابقة أو تنفرد دونها فالقول بأن التصوف إلى الصوف فقط تركيز على المظهر دون الجوهر والظاهر دون الباطن ودعوتهم فى

حقيقتها تنصب على الباطن ، وتدعوا إلى النظر فى أعماق الأمور وبلوغ الحقيقة ، ومن ثم حاول الكلاباذى أن يستقصى كل الوجوه الممكنة ثم تابعه الهجويرى والقشيرى ثم الغزالى والسهروردى وغيرهم من مؤرخى التصوف ، فكانت أبرز الوجوه التى يرد إليها التصوف غير الصوف ، القول بأنه من الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، وهى مبررات لا تشهد لها سلامة الاشتقاقات اللغوية ، وفضلا عن هذا فإن فيها نظر ، فالصفاء ليس وصفا للصوفية وحدهم والصفة كانت منزلا مؤقتا وضروريا للفقراء من المهاجرين حتى يتأهلوا لحياتهم الخاصة .

أما نسبة التصوف إلى الصف الأول ، فيكفى فى ردها قول السراج الطوسى فى وصف أداب الصوفية : (ومن آدابهم أيضا أنهم يكرهون الإمامة والصلاة فى الصف الأول بمكة وغيرها) [1] .

وعلى ذلك فالرأى المعتبر هو ما ذكره القشيرى (ت:465هـ) حيث يقول : (ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال : رجل صوفى وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة متصوفة) [2] .

ثم علل ذلك بأنه لا يشهد للتسمية من حيث العربية ، قياس ولا اشتقاق ، فالأظهر أنه

كاللقب ، فالذين قالوا : إنه من الصوف ولبسه فذلك وجه ، ولكنهم لا يختصون بلبس الصوف ، والذين قالوا : يرد

---

1. اللمع ص 208 .
2. الرسالة القشيرية 2/550 .

إلى الصفة التى فى مسجد رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفى ، ومن قال : إنه من الصف الأول بعيد أيضا فى مقتضى اللغة [1] .

[4] - دلت دراسة الأصول القرآنية للمصطلحات الصوفية على أن التصوف من حيث مبدأ الزهد أصيل المنشأ فى البيئة الإسلامية ، فلا مؤثرات أجنبية ملحوظة حتى منتصف القرن الثالث الهجرى على الأقل ، ومن الطبيعى أن الأمر طالما أنه اجتهاد لخدمة الدين وتطبيقه من الجانب العملى وتجسيد لمذاقات العبودية فى صورة نظرية ، فمن المعقول أن يختلف الأمر من شخص إلى آخر ومن مذاق إلى آخر ، ومن ثم فسوف يأخذ منه ويرد ، وسوف يخضع لعوامل التطور واحتمال الخطأ والصواب والنقد والمخالفة .

[5] - أن التوحيد الصوفى عند أغلب أوائل الصوفية لا يجافى التوحيد السنى بل يتآزران فى التعبير

عن عقيدة الكتاب والسنة ، فالتوحيد الصوفى لأوائل الصوفية شدد على ضرورة التخلص من خفايا الشرك والرياء والكبر وعبودية الدرهم والدنيار والنفس والشيطان ، وجميع المصطلحات ذات الأصول القرآنية تشهد لذلك ، ولم يثبت من خلالها جواز الأفعال التى تنسب إلى التصوف فى هذا العصر ، من عكوف على قبور الصالحين ــــــــــــــــــ

1. السابق 2 /550 ، ص 551 .

ودعاء الأموات ، وإقامة الموالد لهم ، والاستعانة بهم ، والتوكل عليهم والنذر لهم أو شد الرحال إليهم ، بل مصطلحاتهم فى توحيد العبادة تدل على السمو فى تحقيق الإيمان وتجسيده .

[6] - أن بعض السلبيات الصوفية التى وجدت عند الأوائل ، وأثرت على الزيادة فى زاوية الانحراف عبر القرون ، ثثمثل في الغلو فى الطاعة والالتزام بما ليس بلازم من الأحكام ، فكثير منهم نزل المندوب منزلة الوجوب ، وشق على نفسه فى كثير من النواحى التى جعل الشرع فيها مندوحة وسعة ، فأصبحت هذه الالتزامات سنة عند المتأخرين لا يسعهم الخروج عنها ، وكل طريقة شددت على المريدين فى الالتزام بمنهجها الخاص ، وإن لم ينسجم مع السنة فى كثير من النواحى ، مما فتح الباب للاجتهاد فى

التصور الخاطئ لعلاقة الحب بين العبد وربه ، فظهرت آراء شاذة ألصقها الناس فى أذهانهم بعامة الصوفية دون بعضهم ، فآراء الحلاج وشطحات أبى يزيد البسطامى والشبلى والنورى وغيرهم جعلت الناس يرفعونها على حساب التصوف من ناحية ، وإهمال الموقف الإيجابى للمشايخ فى التبرؤ منها وتقبيحها من ناحية أخرى ، ومما زاد فى الصاق هذه الأفكار بهم أنها وجدت فلسفة أخرى عند ابن عربى وابن الفارض وغيرهما ، ساعدت على إظهار المزيد من التجاوزات فأثمرت هذه الآراء علقما وحنظلا تتجرع الأمة الإسلامية مرارته .

[7] - الاستغلال السيئ لبعض المصطلحات الصوفية من قبل المرتسمين بالتصوف أو المعادين له أو للإسلام بصفة عامة ، فمن خلال عرض أوائل الصوفية لأقوال المخطئين فى فهم هذه المصطلحات ، أو النظرة العامة للتطور الدلالى لكل مصطلح صوفى عبر مراحل التصوف المختلفة يستطيع الباحث أن يرى مدى الجهد المبذول لكشف المقصود فى استعمال المصطلح المعين من ناحية ، وفهم الأثر السيئ لهذه المصطلحات والجهد المطلوب لرده من ناحية أخرى .

ثانيا : أهم التوصيات .

1- ما زال البحث في الأصول القرآنية والنبوية يحتاج إلى استقصاء أوسع لكل مصطلح صوفى على حده ، فالرسالة مع ضخامتها لم تستوعب العمل بشكل تام ، لأنه يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل ، فربما وجدت مصطلحات تخلفت عن جهدى فى حصرها وجمعها ، فالأمر يتطلب عملا موسوعيا شاملا ، يتكاتف المخلصون من المسلمين ، لفرز التراث الصوفى وفصل ما له علاقة مثمرة بالأصول القرآنية والنبوية ، وما هو لصيق بها ولا أصل له ، وهذا العمل بالغ الأهمية فى تقصى الحقائق ، ووزن الأمور بميزان الحق والاعتدال .

2- إذا كانت هذه الرسالة بداية لمن أراد المزيد فى البحث عن الأصول القرآنية والنبوية للمصطلح الصوفى ، فإن البحث يتطلب أيضا دراسة الأصول الأجنبية للمصطلحات الصوفية والتى لم تتعرض لها الرسالة ، فلا بد من معرفة الاصطلاحات التى أدخلت على التصوف والبحث عن معانيها ومصادرها بصورة جدية تكشف حقائق الأمور وتميز الخبيث من الطيب .

3- أوصى الباحثين بضرو التحرى وبذل الجهد فى عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية ، ليس هذا وفقط ، ولكن تحرى الحكم على الحديث أيضا حفاظا على السنة من ناحية ، وتثبيت الثقة فى نفوس القراء والباحثين من ناحية أخرى ، وربما تطلب الأمر من الدارسين الرجوع إلى المحديثن وسؤالهم عن ثبوت الحديث ، إذا لم يهتد الباحث بمفرده إلى الحكم ، وهذا مما أراه واجبا لجدية الدراسة .

4- تفتقر المكتبة الصوفية إلى تفسير علمى جاد مبنى على قواعد التفسير وأصوله المعتبرة عند علماء التفسير ، يجمع نتاج الصوفية فى شرحهم لأعمال القلوب والجوارح وسائر المقامات والأحوال ، وما قدموه للجانب الروحى والأخلاقى فى الإسلام ، وعلى النحو الاجتهادى الذى نراه فى تراث المحاسبى وأبى طالب المكى وأبى حامد

الغزالى وغيرهم من تفسير للقرآن بالقرآن أو تفسير للقرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين .

5- اتباع الشرع بميزان الاعتدال ، لأن الغلو ابتداع فى دين الله وقدح فى سنة رسول الله ووصف لأصحابه بالتقصير فى الالتزام ، ولذلك قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : " كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ، فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم " [1] .

كما أن الغلو فى جانب سوف يؤدى إلى التقصير فى جانب آخر على وجه الضرورة ، فاستطاعة الإنسان محدودة ، وقدرته مهما بلغت تتأثر بضعفه فى

---

1. انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبى القاسم اللالكائى 1/90 وحلية الأولياء 1/280 ، وأخرج البخارى نحوه عن حذيفة رضى الله عنه انظر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله برقم (7282) .

النواحى الأخرى ، والله سبحانه كلفنا بمنهج يتناسب مع فطرتنا ، فقال سبحانه : لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا [البقرة/286] ، فالمنهج الإسلامى فيه الخير ولا خير أفضل منه .

6- وجوب الاعتدال فى النظر إلى التصوف ورجاله ، فكل يأخذ من كلامه ويرد ، ولا يصح التحامل عليهم مطلقا ولا الموافقة لهم مطلقا ،

صحيح أن الواقع الصوفى فى العصر الحاضر يكوِّن صورة بغيضة عن الصوفية وأبناء جنسهم ، لكن الله عز وجل أمرنا بالعدل ، فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة/8] ، فمشايخ الصوفية الأوائل لهم كلام بديع يعبر عن حقيقة الدين ولبعضهم شطحات فى بعض الأوقات تخرج عن حد الدين ، وقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال :

(تنازع الناس فى طريقتهم ، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف ، وقالوا : إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، وطائفة غالت فيهم وادعو أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء ، والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذى هو من أهل اليمين وفى كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب) [1] .

---

1. الصوفية والفقراء ص 6، 7 .